UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

بلاغة الالتفات من الخطاب إلى المتكلم في القرآن الكريم

Iltif'āt as a Source of Eloquence in the Qurān for Changing Narration from Second to First Person

DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

سلطنت خان [*]

د. نياز بادشاه الحقاني [**]

Abstract:

The holy Qur'ān is an eloquent speech of Allah Al-Mighty delivered in the most expressive and unambiguous Arabic language. The Islamic Scholars ever since its introduction have been working sincerely on the Arabic Language and this love with Arabic language emanated from their attachement to the creator, so the holy Qur'ān has always been the focus of attention and epicenter of many rhetorical discusses like Iltifat, while means interpreting some thing from one perspective and change it to another perspective i.e from first person to second or third person and vice versa. Some of the scholars denied the existence of "Iltifat" from second person to first person in the holy Qur'ān. Tewenty-four examples of the mentioned type of "Iltifat" were given from the holy Qur'ān proving the fact that this kind of " Iltifā't" is used in the Holy Qur'ān in certain places and in this way the research proves that the holy Qur'ān is the most eloquent book of Almighty Allah using different rhetorical discourses like Iltifā't.

Keywords: *Iltifāt, Qur'ān, Sukkākī, Eloquent, Rhetoric, Balaghāt*

ملخص البحث:

لما رأينا إنكار بعض العلماء البارزين عن وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم، و أنه لا مثال لهذا القسم للالتفات في كلام الله حيث مثّلوا له من كلام العرب، فشمّرنا لاستخراج هذا القسم للالتفات في القرآن المجيد. ففي هذا البحث سعينا التعرض لتصريحات تلك العلماء، ثم بيّننا معنى الالتفات لغة و اصطلاحا كما تعرضنا إلى أقسام الالتفات المشهورة، وأخيرا

[*] باحث الدكتوراه بجامعة اسلامية كالج بشاور

[**] باحث الدكتوراه بجامعة اسلامية كالج بشاور

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

ذكرنا أمثلة الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد، فأثبتنا أن هذا النوع من الالتفات يوجد في كلام الله تعالى وجودا معتدًّا به و أن القرآن الكريم بليغ من هذا الوجه أيضا. وهذا هو المقصود.

مواقف العلماء على عدم وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد:

1. أنكر ظاهرالدين صاحب''بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم ''(بحث الدكتوراة من جامعة بشاور(قسم اللغة العربية)، سنة 1993ء الموافق 1411هـــ) عن وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم، وأحال على الدكتورمحمد سالم محيسن بأنه لا يوجد له شاهد في القرآن الكريم ، و هذا نصه:

> ''السادس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.وهذا القسم كما صرح به الدكتو: محمد سالم محيسن في كتابه بأنه لا يوجد شاهد لهذا النوع من القرآن الكريم ، ومثّل له من الشعر .. فقط''[1].

2. وأما عبد الله عبد الرؤف في كتابه''الالتفات وأسراره البلاغية في القرآن الكريم'' (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلاميه العالمية إسلام آباد باكستان، سنة 2003/2002ء الموافق 1424/1423هـــ) فإنه اكتفى على ذكر "الالتفات من المخاطب إلى المتكلم" على ذكر ثلاث آيات فقط ، فكتابه أيضا ليس بجامع لمسائل العدول من هذا الوجه.

3. قال السيوطي[2]:

> ''ما وجدت مثاله من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم''[3].وقال فى الإتقان:
> ''ومثاله لم يقع في القرآن الكريم من الخطاب إلى التكلم، وذكر بعضهم مثالا له بقوله تعالى: (فاقض ما أنت قاض) سورة طٰهٰ أية: 72، ثم قوله : (إنا آمنا بربنا) طٰهٰ :73، وهذا المثال لوجود الالتفات في القرآن الكريم لا يصحّ ، لأن شرطه أن يكون المراد به واحدا.''[4]

فهذا رأي السيوطي ومن تبعه ، فأنكروا عن وجود الالتفات عن الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم.

وقال صاحب"الالتفات وأسراره البلاغية في القرآن الكريم:

> ''هذا رأي السيوطي، وغيره استقرأ القرآن و تتبّعه فأخرج بعض الالتفاتات الواردة في القرآن الكريم بهذه الصورة وإن كانت قليلة.''[5]
>
> والحال إنّ ''الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد'' له شواهد كثيرة في القرآن الكريم.

فالحاصل إنّ هاتين المقالتين وإن كانتا على مسائل الالتفات بين الغيبة والتكلم، وبين الغيبة والخطاب على قدر معتدّ به مثل كتاب الإمام السيوطي، لكن ذلك الجانب من بلاغة الالتفات أعني

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

''الالتفات من الخطاب إلى التكلم في آيات القرآن الكريم'' تُركت يتيمة لم يُلتفت إليها التفاتاً كما هو حقها، وصارت محتاجة للبحث والتحقيق، كالمسئلة الباكرة التي لم يبتدر إليها أحد.

معنى الالتفات لغة:

''الالتفات لغة مأخوذ من لفت يلفت لفتا ، بمعنى صرف الشيئ ، سواء كان هذا الشيئ حسيا أو غير حسي، ومن معنى اللفت لغة: الليّ أيضا أي ليّ الشيئ عن الطريق المستقيم، كما ورد في الحديث الشريف أن النبيﷺ قال :''إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلي[6] بلسانها''.[7] وفي قول الله تعالى:(وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ)[8] أي لا يصرف منكم أحد وجهه إلى ما يترل من العذاب لهم. و هذا المعنى اللغوي قد روعي في المعنى الاصطلاحي.

التعريف الاصطلاحي للالتفات عند البلغآء:

هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، وهي (الغيبة، والخطاب، والتكلم) بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق أخر من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع''[9]. هذا هو المشهور عند الجمهور من أهل البلاغة والفصاحة؛ لأن هناك مذاهب أُحرى في تعريف الالتفات كما ذكرها الفاضل الچلپى[10] في حواشي المطول للإمام سعد الدين التفتازاني[11] ، و نقلها صاحب التجريد في حواشي مختصر المعاني[12] حيث قال:

إن في الالتفات على أربعة مذاهب:

المذهب الأول:

الالتفات هوالتعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم ، الخطاب، الغيبة) و يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر كما يشترط فيه أن يكون المخاطب فى التعبيرين واحدا، ولكن لا يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد ، بل أعم من أن يكونا في كلام واحد أو في كلامين أو أكثر. هذا هو مذهب صدر الأفاضل.[13]

المذهب الثاني:

الالتفات هوالتعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (الغيبة، والخطاب، والتكلم) و يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر كما يشترط فيه أن يكون المخاطب في التعبيرين واحدا ومع ذلك يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد. وهذا هو مذهب بعض أهل العلم من علمآء البلاغة.

المذهب الثالث:

الالتفات هوالتعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (الغيبة، والخطاب، والتكلم) و يشترط فيه سبق التعبير، بأن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع بطريق آخر، ولا يشترط فيه أن يكون التعبيرانِ في كلام واحد كما لا يشترط فيه كون المخاطب في

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

التعبيرين واحدا، وهذا هو مذهب الجمهور.

المذهب الرابع:

الالتفات هوالتعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم،الخطاب، الغيبة) ولا يشترط فيه سبق التعبير بطريق أخر، كما لا يشترط فيه أن يكون التعبيرانِ في كلام واحد، ولا كون المخاطب في التعبيرين واحدا،وأيضا لايشترط اختصاصه بالمسند إليه، وإن كان عدم اختصاصه به على مذهب الجمهور أيضا، فيكون الإطلاق ماخوذا من مجموع الأمرين على ما علم من أصحاب هذا المذهب والأمثلة التي ذكروها للالتفات. وهذا هو مذهب الزمخشري ، والسكاكي[14]، ومن تبعهما.[15]

المذهبان الأولان لم يعبأ بهما أهل البلاغة ،وذكروا عن المذهبين الأخيرين (مذهب الجمهور والمذهب للسكاكي ومن تبعه).

الفرق بين مذهب الجمهور والسكاكي:

الالتفات بتفسير الجمهور أخص من تعريف الالتفات بتفسير السكاكي، فإنه عند السكاكي أعم من --

(**الف**): أن يكون قد عُبر عن معنىً بطريق من الطرق الثلاثة، ثم بطريق آخر كما هوعند الجمهور.

(**ب**): أو أن يكون مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق من الطرق الثلاثة فتُرك و عُدِل عنه إلى طريق آخر. كما في قول الشاعر[16] :

إلهي عبدك العاصي أتاك مقرا بالذنوب وقد دعاك[17]

فهذا التفات عند السكاكي، لأنه عبر فيه عن المعنى بما يخالف مقتضى الظاهر، لأن مقتضى الظاهر فيه أن يعبّر بضمير المتكلم، لأن المقام له، فيقول: إلهي أنا العاصي أتاك. فالتعبير بالاسم الظاهر هنا مخالف لما يقتضيه ظاهر المقام. وهذا لا يعتبر التفاتا عند الجمهور، لعدم وجود تعبير سابق كما هوشرط عندهم. فيتحقق الالتفات عند السكاكي بتعبير واحد، وعند الجمهور بتعبيرين. فالالتفات عند رأي الجمهور يكون التفات عند أبي بكر السكاكي، ولا يكون بالعكس.[18]

أنواع الالتفات :

الأقسام المشهورة للالتفات ستة ، لأن التعبيرات الثلاثة (التكلم و الخطاب والغيبة) إذا ضربتها في الاثنين (الباقيين من تلك الثلاثة) حصلت أقسام ستة. وهي:

1. من التكلم إلى الخطاب
2. من الخطاب إلى التكلم
3. من التكلم إلى الغيبة

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

4. من الغيبة إلى التكلم
5. من الخطاب إلى الغيبة
6. من الغيبة إلى الخطاب

ذكروا أمثلة للالتفاتات كلها في القرآن المجيد، لكنهم إما أنكروا عن أيٍّ مثال للالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد و إما قالوا إن الالتفات بهذه الصورة قليل في القرآن الكريم، أقول إن هذا الالتفات عن المخاطب إلى المتكلم له وجود في القرآن الكريم على قدر معتد به ، وفيما يلى سأسعى أن أذكره بعض الأمثلة على ذلك:

أمثلة الالتفات من الخطاب إلى التكلم في الآيات:

المثال الأول:

''قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَر وَالْبَحْر تَدْعُونَهُ تَضَرعًا وَخُفيةً لَئِنْ أَنْجَانَا...''[19]

ففي هذه الآية صنعة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم ، لأن قوله:(ينجيكم) في مقام الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال:(لئن أنجٰنا من هذه لنكونن من الشٰكرين).

المثال الثاني:

''ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ... وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ''.[20]

هذه الآيات أيضا تحتوى على أمثلة من بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم ،لأن قوله:(ذلكم الله ربكم ، فاعبدوه ، قد جآءكم بصائر من ربكم) كلها صيغ الجمع المخاطب تشمل جميع من خاطبهم القرآن الكريم، و أول المخاطبين للقرآن الكريم هوالنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عُدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم، فقال: (وما أنا عليكم بحفيظ). فالآية فيها التفات من المخاطب الجمع إلى المتكلم المفرد.

المثال الثالث:

''وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ... ثم قال بعد أية: أَفَغَيْر اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا...''.[21]

فإن في هاتين الآيتين صناعة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم ، لأن قوله: (كذلك، ربك، فذرهم) في مقام الخطاب ، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال:(أفغير الله أبتغي حكما) وفي هذا التفات و تلوين في الكلام ، وهذه من مميزات اللغة العربية.

المثال الرابع:

''وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُربَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ. وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيمًا" .[22]

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

فإن في هاتين الآيتين التفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (قلتم ، فاعدلوا ، أوفوا، ذلكم ، وصاكم، لعلكم ، تذكرون) كلها صيغ الخطاب، ثم عدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم ، فقال: "وأنّ هذا صراطي"مكان "وأن هذا صراطكم صراطا مستقيما".

المثال الخامس:

''لقد أبلغتُكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم فكيف آسٰى على قوم كٰفرين''.[23]

ففي هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم ، لأن قوله:(أبلغتُكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم) أسلوب الخطاب، و قوله: (فكيف آسٰى على قوم كٰفرين) أسلوب التكلم، قال صاحب روح المعانى : والتفتَ من الخطاب إلى التكلم.[24]

المثال السادس:

''يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ''.[25]

فى هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (أنشاكم، واستعمركم، واستغفروه، وتوبوا) أسلوب الخطاب ، ثم عدل عنه الى أسلوب التكلم، فقال:(إن ربى قريب مجيب). والسر البلاغىّ هوالإنبآء بعظمة ذى الجلال و رحمته وإجابته لصالح عليه السلام. ولأن فيه دفع توهم انصراف هذه الصفات إلى آلهتهم فيما لو قيل! إن ربكم قريب مجيب.[26]

المثال السابع:

''وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ''.[27]

يوجد في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قول الله تعالى: (استغفروا، توبوا، ربكم) في مقام الخطاب، ثم عدل من أسلوب الخطاب إلى أسلوب التكلم، فقال! (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)، لأن أصل الكلام : "ثم توبوا إليه، إن ربكم رحيم ودود". الالتفات في الآية جاء في أولها بأسلوب الخطاب وهو (واستغفروا ربكم)، ثم انتقل في آخرها لأُسلوب التكلم، (إن ربي رحيم ودود)، وكان الظاهر أن يقول: (إن ربكم) والسر البلاغي هنا هو الإشارة إلى أن ربكم وربي واحد.[28]

المثال الثامن:

''مَا هذا إِلَّا بَشَر مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهذا في آبَائِنَا الأولين''.[29]

فإن في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله:(مثلكم، عليكم) أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم ، فقال:(ما سمعنا بهذا في أبآئنا الأولين). ومقتضى الظاهر أن يورد الكلام هكذا: ما سمعتم بهذا فى أبآءكم الأولين ، لكن عدل عن هذا لإنشآء التفنن في

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

العبارة.

المثال التاسع:

'' هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِمَا تُوعَدُونَ، إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ''.[30]

ففي هاتين الآيتين التفات عن الخطاب إلى التكلم، لأن قوله :(توعدون) في موضع الخطاب، فعدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (حياتنا، ونموتُ، ونحيا، وما نحن): لأن مقتضى الظاهر لهذا القول: إن هي إلا حياتكم الدنيا تموتون و تحيون وما أنتم بمبعوثين، لكن عدل عنه تفننا في الكلام.

المثال العاشر:

''ألم ترإلى ربّك كيف مدّ الظِّل ولو شآء لجعله ساكنا ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلا''.[31]

هذه الآية مشتملة على الالتفات من الخطاب إلى التكلم لأن فى أولها أسلوب الخطاب و فى آخرها أسلوب التكلم، قال صاحب الموسوعة القرآنية : فى الآية انتقال من الخطاب إلى التكلم.[32]

المثال الحادي عشر:

''وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرحِيمِ * الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ ... هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين''.[33]

فإن في هذه الآيات بلاغه الالتفات من الخطاب إلى التكلم ، لأن قوله :(توكل، يرٰك ، تقوم، تقلّبك) في مقام الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال : (أُنبّئكم).

المثال الثاني عشر:

''وَتَرى الْجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً وَهِيَ تَمُر مَر السَّحَابِ ثم قال بعد أيتين : إِنَّمَا أُمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ ربَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ ... ''.[34]

هذه الآيات كلها في أسلوب الخطاب مع النبيّ صلى الله عليه وسلّم، لأن قوله: (إن ربك، فتوكل على الله، إنك لا تسمع الموتى، إن في ذلك ، وترى الجبال تحسبها) كلها في مقام الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عن الخطاب إلى التكلم فقال: (أُمِرتُ، وأَعْبُدَ، وَأُمِرتُ، وأَكُونَ).

المثال الثالث عشر:

''وَقَالَتِ امْرأَتُ فِرعَوْنَ قُرتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرونَ''.[35]

في هذه الآية بلاغة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم، لأن قوله: (لاتقتلوه) خطاب إلى

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

فرعون وإلى المؤكلين بقتل أطفال بني اسرآئيل من قومه ، ثم عدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم فقال:(أن ينفعنا أو نتّخذه) والمراد من ضمير الجمع المتكلم هو فرعون وامراته القآئلة وغيرهما، فالعبارة في الأصل: لا تقتلوه، عسٰى أن ينفعكم. والنكتة فى هذا الالتفات تحويل إراداتهم عن قتل موسٰى عليه السلام إلى حياته المفيدة لهم.

المثال الرابع عشر:

''وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، ثم قال بعد ثلاث أيات: هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.''[36]

إن في هاتين الآيتين التفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله:(فبشِّره) في مقام الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (هذا خلق الله فأروني) تفننا فى الكلام ، وهذه شجاعة اللغة العربية.

المثال الخامس عشر:

''اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ – وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ''. [37]

ففي هاتين الآيتين بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله ''اتبعوا، لا يسئلكم'' أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (وما لي لا أعبد الذي فطرني). والأصل أن يقول : وما لكم لا تعبدون الذي فطركم و إليه ترجعون. [38]

والسر البلاغي في هذا الالتفات أنه أبرز الكلام في معرض النصيحة، لهم فعدل عن الاستمرار بمخاطبتهم الى خطاب نفسه لان لا يصل إليه منهم المكروه و يداريهم، ولأنه أدخلُ في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه و لذا عدل عن خطابهم وقال: ومالِيَ.

المثال السادس عشر:

''وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ – أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرحْمَنُ بِضُر لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ''. [39]

وفي هذه الآية أيضا التفات عن الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (تُرجعون) في مقام الخطاب، فعدل عنه إلى التكلم، فقال: (إن يردنِ الرحمٰن) ومقتضى الظاهر أن يورد الكلام هكذا: إن يردكم الرحمٰن.

المثال الثامن عشر:

''قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ... إِنَّا لَذَائِقُونَ''. [40]

أنظر إلى هذه الآيات فإن فيها بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله "

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

تكونوا، عليكم، كنتم " في مقام أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم ، فقال : فحقّ علينا قول ربنا انا لذائقون.[41]

المثال التاسع عشر:

''وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِروا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ. مَا سَمِعْنَا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلَاقٌ''.[42]

ففي هاتين الآيتين بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (امشوا، اصبروا ، آلهتكم) كلها صيغ الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (ما سمعنا بهذا في الملة الأخرة) فإنه مكان هذا القول: ما سمعتم بهذا في الملة الأخرة، تفننا فى الكلام.

المثال العشرون:

''يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرضِ فَمَنْ يَنْصُرنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا''.[43]

أنظر إلى هذه الآية تجد بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (لكم) في موضع الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (فمن ينصرنا من بأس الله إن جآءنا). لأن الرجل المؤمن كان داخلا في هذا القوم، فيخاطبهم مرة، و يعبّر عنهم بصيغة التكلم مرة أُخرٰى. فالعبارة في الأصل هكذا: فمن ينصركم من بأس الله اِن جآءكم.

المثال الحادي والعشرون:

''لَا جَرمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرةِ وَأَنَّ مَردَّنَا إِلَى اللّهِ''.[44]

ففي هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: تدعون " صيغة الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: وأن مردّنا إلى الله . لأن الرجل المؤمن كان داخلا في هذا القوم، فيخاطبهم مرة، ويعبّر عنهم بصيغة التكلم مرة أُخرٰى، فكأنه يقول: ''وَانّ مردّكم إلى الله'' فبعدم الإيمان صرتم مسرفين و مشركين واسمعوا أن المسرفين أصحاب النار.

المثال الثاني والعشرون:

'' فَسَتَذْكُرونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْري إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِير بِالْعِبَادِ''.[45]

ففي هذه الآية صناعة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (ستذكرون) صيغة

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

الجمع المخاطب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم ، فقال:(و أُفوّض أمري إلى الله) لأن أصله هكذا: و أفوض أمركم إلى الله.

المثال الثالث والعشرون:

''وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ ربِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنيب''. [46]

هذه الآية أيضا تشتمل على أسلوب الالتفات من الخطاب إلى التكلم لأن قوله: (اختلفتم، و ذلكم) صيغ الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (ربّي عليه توكلتُ و إليه أُنيب)، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلّم كان أول مخاطب للقرآن الكريم، فإن الله تعالى يقول لرسوله عليه السلام و لسائر الناس المكلفين: إن اختلفتم في شيئ من الأشيآء فردوا حكمه إلى الله وكتابه، لأن الله تعالى هوربكم فعليه توكلوا، لأن إنابتكم و رجوعكم إليه.

المثال الرابع والعشرون:

''وَلَمَّا ضُربَ ابْنُ مَريَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْر أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ...ثم قال بعد أيتين: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ.''[47]

أنظر في هذه الآيات فإن فيها بلاغة الالتفات موجود، لأن قوله ''قومك ، لك'' كلاهما أسلوب الخطاب ، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: فلا تمترنّ بها و اتّبعونِ. لأنه فى الأصل؛ اتّبعونى بياء المتكلم التى حذِفت تخفيفا. ومرجع ضميرالخطاب والمتكلم واحد ، وقد عبّر عنه اولا بالخطاب ثم بالمتكلم.

المثال الخامس والعشرون:

''فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا''. [48]

في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله :(فذوقوا) أسلوب الخطاب فعدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (نزيد) قال الزمخشري و أبو السعود في تفسيريهما: (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات، وهي أية في غاية الشدّة ، وناهيك بلن نزيدكم، و بدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة، و بمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ. " [49]

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

الهوامش

[1]. ظاهر الدين، بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، بحث الدكتوراة من جامعة بشاور، سنة 1993ء، ص24. و د: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها فى علوم العربية، الجزء الثاني،ص96، مطبعة الكليات الأزهرية بمصر

[2]. أبو بكر بن محمد السيوطي، (849 – 911هـ الموافق: 1445 - 1505م)، إمام حافظ مؤرخ أديب.له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات)، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل. (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي:" الأعلام " ملخصا، ج3 ص301.

[3]. السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص299 ، دار المنار، القاهرة، 1406

[4]. السيوطي، الإتقان فيي علوم القرآن ، ج 3، 218 ، مؤسسة فؤاد بيروت، لبنان، 2002ء.

[5]. الالتفات و أسراره في القرآن الكريم ، المبحث الثالث، ص55

[6] الخلي ؛ الرطب من النبات (محمد بن يعقوب الفيروزآبادي:" القاموس المحيط "،فصل الخاء، ج1، 1653،

[7] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبى داؤد، ج2 ص327.

[8] هود : 81

[9] محمد عبد الرحمٰن القزوينى،" تلخيص المفتاح " أحوال المسند إليه، ص 21، *مكتبہ رحمانیہ لاہور*، و مسعود بن عمر التفتازانى:" مختصر المعاني " ص 121، *مكتبہ رحمانیہ لاہور*.

[10] حسن چلپى بن محمد شاه شمس الدين (صاحب فصول البدائع) محمد بن حمزة الفنارى، وُلد سنة 840 هـ ببلاد الروم ، و نشأ بها، ومات ببروسا في سلطنة بايزيد خان سنة ست وثمانين وثمانمائة (الفوائد البهية في تراجم الحنفية "، ص64

[11] التفتازاني، سعد الدين: (712 – 793) هـ من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس. (الأعلام للزركلي ملخصا، ج7, ص219)

[12] مختصر المعاني ص 121، حاشية 7

[13] مجد الدين، القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، الملقب بصدر الأفاضل، عالم من فقهاء الحنفية، من أهل خوارزم. له كتب، منها " شرح المفصل للزمخشري و "ضرام السقط" و "التوضيح" في شرح المقامات، و"بدائع الملح" و "الزوايا والخبايا "في النحو، و"السر" في الإعراب (الأعلام للزركلى، ج5، ص175)

[14] أبو يعقوب السكاكي، صاحب " المفتاح" كان حنفيا، إماما كبيرا، عالما بارعا متبحرا في النحو والتصريف وعلم البيان والمعاني والعروض والشعر ، وضع علوم البلاغة في قالبها العلمى، مولده ووفاته بخوارزم، توفي سنة 626هـ. (شذرات الذهب ج7، ص215 بتصرف وإسقاط)

[15] مختصر المعاني" ص121،حاشية 7

[16] القائل هو إبراهيم بن أدهم ،كما هو مذكور على حاشية (2) ص285 من مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن يعقوب دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

1424هـ و على حاشية (4) ص254 " شرح التلخيص لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي، المتوفي 786 هـ، المنشاة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى،1392 /1983هـ

17 مختصرالمعاني، ص122، و المطول ص 119

18 مختصر المعاني، ص122

19 الأنعام:63

20 أيضا، الأيات: 103-102

21 أيضا، الآيتين:114-112

22 أيضا، الآيتين: 153،152

23 الأعراف:93

24 شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني ج5 ص 90، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1994م

25 هود:16

26 البيسونى، عبد الفتاح،"علم المعانى دراسة بلاغية نقدية"، ص 276، مطبعة السعادة، ميدان ، أحمد ماهر، شارع الجداوى رقم:102

27 هود:90

28 د. عبد الرحمٰن قحطان: أُستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صنعاء الالتفات فى البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم" ص9

29 المؤمنون:24

30 أيضا:37-36

31 الفرقان:45

32 إبراهيم بن اسماعيل الأبيارى : الموسوعة القرآنية ، ج2 ص 388، مؤسسة السجل العرب ، 1405هـ

33 الشعرآء:221-217

34 النمل:88،91

35 القصص:9

36 لقمان:7،11

37 يس:21،22

38 القراءات وأثرها في العلوم البلاغية، ج2، ص96

39 يس:22،23

40 الصافّات:30،31

41 تفسير الكشاف ،ج4، ص39

42 ص:7-6

43 المؤمن:29

44 أيضا:43

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496,Volume 1 | Issue 1 |June-December 2017
DOI: 10.33195/uochjrs-v1i1432017

45 أيضا:44

46 الشورٰى:10

47 الزخرف:61،58

48 النبا:30

49 الزمخشري: الكشاف، ج4 ،ص 690 ، و أبوالسعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي:"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ج5 ، ص817 ، والزمخشري هنا لا يحدّد لون الالتفات، لكننا نلمح هذا الالتفات من الخطاب إلى التكلم بكل يسر (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد: 2، ذوالقعدة: 1416هـ/أبريل 1996م ص281) أنظر القراءات وأثرها في العلوم البلاغية، ج2، ص97 .

@ 2017 by the author, Licensee University of Chitral, Journal of Religious Studies. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).